الحقيقة المحمدية شعراً وتأريخاً

د.فاضل عواد

كلية السلام الجامعة

إن الحقيقة المحمدية من أكثر القضايا إثارة وإشكالية للفكر الإسلامي، والتي أشغلت المسلمين لعقود طويلة، وما زال الخلاف جارياً حتى الآن بين علماء الظاهر: من فقهاء ورجال حديث وأصوليين، وبين أهل التصوف، أرباب الحقائق والمشاهدات والكشف الصريح، فأهل الرسوم لا يعتقدون بوجودها أصلاً، والصوفية متأكدون من وجودها، لأنهم أصحاب البصائر النافذة، التي شارفت عالم الملكوت، والمعارف والأسرار العرفانية، وشاهدوها عياناً وأحسوها ذوقاً، وهنالك الذين تحفظوا وتوقفوا عند حدودها، وأخذهم التردد بين الرفض والقبول، وحالهم يشبه ما يقول أتباع (بهادرا)[١] في فلسفته المعروفة بفلسفة (ربما) التي تقول: "ربما يكون هذا الشيء موجوداً أو غير موجود"[٢]، ويصدق عليهم مذهب (اللاأدية)[٣] الذين يمتنعون عن ذكر حكمهم على الأشياء، وإن كانت ظاهرة للعيان، والصوفية أشبه بالوسيط (اللوغوس)[٤] بين العالم المادي والروحي، أو بين عالم الظواهر والحقائق، وهم أهل الكمال الذين تعلقوا بعالم الصفاء واللطف بصدقهم وإخلاصهم في عبوديتهم، وتفردوا بزهدهم، واستنارة قلوبهم بأنوار الإيمان والتوحيد، وهذا ما لا خلاف فيه والحقيقة المحمدية أدهشت الكثيرين لغرابتها وعزة مقامها، وقدسية حضرتها، وليس من السهل الاعتقاد بها وقبولها، لأنها لأهل الخصوص والأفراد المتعالية على مدارك العامة، فهي من الأسرار العزيزة الهابطة على قلوب المحققين، فأما التسليم والثقة بما ورد عنهم أو نكل أمرهم إلى الله سبحانه، فهو أعلم بحالهم، لئلا نقف موقفاً لا يتفق مع مواهبهم وعلومهم اللدنية، المتحققة في حياتهم الروحية، فالعلوم التطبيقية خاضعة للتجربة والملاحظة والاختبار، ثم الاستنباط واكتشاف القوى والقوانين التي تتحكم بها، والمحركة لها، أما علوم الصوفية فهي ذوقية، لدنية، تعجز العبارة عن وصفها وضبطها والإحاطة بها، لأنها من علوم الحقائق، والحقيقة المحمدية من تلك الحقائق الكبرى، فما علم الحقائق؟.

علم الحقائق: هو علم الباطن الذي هو نور يقذفه الله تعالى في قلوب من يشاء من عباده الموفقين، فهو للخاصة من أكابر الرجال، ولا يجوز البوح أو التصريح به إلا لأهله من أهل التصوف، صيانة لظاهر الشرع، وحفاظاً على قلوب العامة، بل التلميح أو الإشارة إليه، تشجيعاً لمن يريد الوصول إلى مراقبة وتذوق أنواره، وقد ذكره الله سبحانه بقوله: ((وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنه))[٥]. ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، فبهما تكتمل

الشريعة، لقوله تعالى: ((ولو ردّوه إلى الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم))[٦].

فالعلم المستنبط، هو علم الصوفية، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث[٧]، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ((علم الباطن: سر من أسرار الله تعالى، وحكمه من حكمته، يقذفه في قلوب من يشاء من عباده))[٨].

ويكفي هذا العلم شرفاً أن طلبه موسى عليه السلام من الخضر عليه السلام، بقوله عز وجل: ((قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا))[٩].

ولجلالة منزلة هذا العلم، قال تعالى على لسان الخضر عليه السلام: ((إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا)[١٠]. مع ذلك فقد ألحّ موسى عليه السلام لتعليمه إياه، بقوله: ((قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا، قال إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا))[١١]، وعلم الحقائق مراد النفوس الكبيرة وأرباب العزائم، وأهل الفتوة من فقراء الله، لأنه من معالي الأمور، والرتب العالية، قال المتنبي (من الخفيف):

وإذا كانت النفوسُ كبارا تَعبتْ في مُرادها الأجسادُ[١٢]

وليس هنالك مجد أعز وأكرم من عز هذا العلم اللدني الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالمجاهدات والخلوات والرياضات المجهدة، لأنهم في حالة صراع دائم مع النفس وأهوائها ورغباتها، فهذا هو الجهاد الأكبر كما ورد في الحديث الشريف، ولابد من لَيّ النفس وكسرها والسيطرة عليها لتصفوا لهم أوقاتهم لعبادة ربهم عز وجل ومراقبة خواطرهم عدو الأنفاس، وهذا ما ورد في شعر المتنبي (من الطويل):

ولا تحسبنَّ المجدَ زقاً وقينةً فما المجدُ إلا السيفُ والفتكة البكرُ[١٣]

وليس من السهل تحمل أسراره، وسطوة أنواره، إذ هم يشارفون آفاقه، ويدورون في أفلاكه، وليس باستطاعة أحد الإحاطة بكل ما فيه من التجليات والواردات والمنح الإلهية، فلكل واحد منهم قدر مقسوم حسب مقامه وحاله ومعراج عمله، قال الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي[١٤]: ((إذ أكمل العارف أورثه الله علماً بلا واسطة، لكن من باطن شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذ لا يتعدى تابع دائرة متبوعة))[١٥].

ومما يؤكد خطر هذا العلم ما ورد عن الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي[١٦] – الذي كان له ستمائة مريد – أن مريديه طلبوا منه أن يحدثهم بشيء من علم الحقائق، فقال: "لو تكلمت بكلمة واحدة منها أفتى بقتلي أعظمكم وأجلكم"[١٧].

وكان الجنيد البغدادي[١٨] لا يتكلم قط في علم التوحيد إلا في قعر بيته بعد غلق باب داره، ويأخذ مفتاحه ويضعه تحت وركه، ويقول: "أتحبون أن يكذّب الناس أولياء الله تعالى وخاصته، ويرمونهم بالزندقة والكفر"[١٩].

وكان فقيه العراقيين وشيخ الإسلام ابن سريج البغدادي[٢٠] ينكر على الجنيد مقالاته وأحواله، حتى حضر يوماً مجلس وعظه، وبعد استماعه لكلامه قال: "لا أدري ما يقول: "ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل"[٢١]. وتكلم يوماً ابن سريج في مجلس علم فدهش الناس بما يسمعونه منه من الغرائب والمعارف التي لم يألفوها من قبل، لأنها من المرافئ العلوية، فسألوه عن ذلك، فقال: "ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد"[٢٢].

فالصوفية لم يأخذوا التصوف عن القال والقيل، بل عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات كما قال الجنيد البغدادي. وقيل (من البسيط):

علم التصوف علم ليس يعرفهُ إلا أخو فطنة بالحق معروفُ

وليس يبصره من ليس يشهده وكيف يبصر ضوء الشمس مكفوفُ[٢٣]

وعلم التصوف: هو علم الحقائق لا غير، وهو مرتبط بالمشاهدة والكشف ولا يمكن الشك فيه أو ردّه، لأنه علم إلهي من الله عز وجل، يهبه لمن يشاء من عباده المخلصين، الذين قيدوا نفوسهم وألجموها بلجام الشرع، وأطلقوا سراح قلوبهم في سموات آخر، حباً لله وتقرباً إليه ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وما قاله المتنبي يتفق وصدق محبتهم، (من الطويل):

وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا[٢٤]

قال أبو علي الكاتب[٢٥]: "المعتزلة نزهوا الله من حيث العقل فأخطأوا، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا"[٢٦]، والعلم الذي ذكره هو علم الحقائق، فالصوفية حكماء، منزهون ولا يجوز اتهامهم بما لا يليق، لأن الصوفي لا يأتي بشيء مخالف للشريعة وأحكامها ومبادئها وإلا خرج من محراب الإسلام، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[٢٧]: "لقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخَلق، خصوصاً أهل الجدال، فقلّ أن تجد منهم أحدا شرح الله صدره للتصديق بولي معين... وقد جرت سنة الله تعالى في أبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق في مبدأ أمرهم، ثم تكون لهم الدولة والنصرة آخر الأمر"[٢٨].

وكان شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام[٢٩] الدمشقي ينكر على الصوفية أشد الإنكار، وما أن اجتمع بأبي الحسن الشاذلي وسمع كلامه حتى قال: "هلموا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله، فاسمعوه"[٣٠].

وما أن سلك مسلكهم وعرف أحوالهم وما هم عليه من العبادة والزهد وحسن الخلق وصفاء القلوب والنوايا حتى قال: "من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين، ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيء من ذلك قط لفقيه إلا إن سلك مسلكهم كما هو مشاهد"[٣١].

أما أبو حامد الغزالي[٣٢] فقد أذعنت له فرسان المناظرات، وشدت إليه الرحال، حتى أفحم من عارضه بأبلغ الحجج والبراهين، فكان البحر الذي لا يسبر غوره، وكانت له الصدارة في المجالس ومنابر الوعظ والإرشاد حتى أصبح من أعيان المدرسة النظامية في بغداد والتي لا يدرّس فيها إلا من تخطى أعلام العصر وتجاوز مشارف علومهم، وحظي بسمعة طيبة، وأكدت الوقائع أنه من أكابر العارفين، والعلماء العاملين، وهذا ما كان عليه الغزالي، مع ذلك رأى نفسه أنه ما زال بعيداً عن آفاق الملكوت وما فيه من الأنوار والتجليات والفيوضات الربانية، فترك النظامية، بعد أن اتخذ الفقر والتصوف مسلكاً وسياحة ومنهجاً للحياة الروحية الجديدة، برحلة شاقة دامت عشر سنوات، متخذاً البراري خلوة والمدن كهفاً لمراجعة نفسه وكتابة المؤلفات، وفي البرية رآه أحد العلماء بركوة وعكاز ومرقعة، وسأله: كيف يترك منبره العالي في النظامية، ومنزلته العلمية، وسعة عيشه، ليكون على هذه الحالة المؤلمة، التي لا تنسجم مع رفعته وجلالة قدره، وعلو مقامه؟ فالتفت إليه الغزالي قائلاً: لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة، وظهرت شموس الوصل (من الطويل):

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلا، فهذه منازل من تهوى، رويدك فانزَلِ
نسجت لهم نسجاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسّرت مغزلي[٣٣]

ثم قال الغزالي بعد تلك الغربة الطويلة: "إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل، لو جُمع عقلُ العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[٣٤].

وقد اتهم الشيخ الجليل أحمد الرفاعي الحسيني، العلوي[٣٥]، بالزندقة والإلحاد وتحليل المحرمات[٣٦]، وحاشا أن يكون كذلك، وهو ذو النسب الشريف، العارف الكبير، شيخ الطريقة الرفاعية، صاحب الكرامات الباهرة، وقد لاقى الصوفية من الإنكار والعنت والقتل والنفي والتعذيب

ما لم تلنه أية جماعة إسلامية، بسبب مقولاتهم وشطحاتهم التي لم تحمل على محامل حسنة، فمنصور الحلاج[٣٧] قتل سنة ٣٠٩هـ وأحرق جسده بعد ذلك، وكذلك اتهم بانحلال العقيدة أوحد زمانه فلسفة وعلماً وحكمة، يحيى بن حبش السهروردي وقتل بحلب سنة ٥٨٠هـ[٣٨]، حدث كل ذلك بسبب مقولاتهم المخالفة للشريعة ولعقول العامة، ومداركهم التي لم تتجاوز أقدامهم، فهم أرادوا إيصال الخلق إلى ما وصلوا إليه من الأشراقات والتجليات والمقامات العلية، والمنازلات المدهشة، والمعارف الملكوتية فأخطأوا المسار وقُتلوا، لأن علم الحقائق للخاصة من العقلاء، أصحاب العزائم، والإرادات الصلبة وليس لكل الناس لأنه مسلك صعب، ليس من السهل اجتيازه وعبوره، ويعجز الكثيرون من السير فيه، ولكن الصوفية لم يحصلوا من ذلك إلى إلا الرفض والتلف إلا من عصمة الله تعالى وحفظه بقية علم، ومنار هداية، ومنبر إرشاد ووعظ، وآخر ما نستشهد به ما قاله السيد حيدر العلوي[٣٩] الذي بزغ نجمه في القرن الثامن الهجري: "والله، ثم والله، لو صارت أطباق السموات أوراقاً، وأشجار الأرضين أقلاماً، والبحور السبعة – مع المحيط – مدادا، والجن والإنس كتّاباً، لا يمكنهم شرح عشر من عشير ما شاهدت من المعارف الإلهية، والحقائق الربانية الموصوفة في الحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٤٠]، ثم أردف قائلاً: "ولا يتيسر لهم بيان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتية، والغوامض الملكوتية، المعبر عنها في القرآن، بما لم يعلم، بقوله تعالى: "أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"[٤١]، ثم أردف قوله" "ففاض على قلبي من حضرات الغيبية في هذه المدة... من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق التي لا يمكن تفصيلها بوجه من الوجوه، لأنها كلمات الله، الغير القابلة للحصر والعد والانتهاء والانقطاع"[٤٢]، وقال أبو نصر السراج الطوسي[٤٣]، تقرر عند أهل العلم والفهم: "أن كل شيء أشار له المحققون، والواجدون، والعارفون، والموحدون، مما عبروا عنه، وما لم تسعه العبارة، ولا يومي إليه بالدلالة، ولا يشار إليه بالإشارة من اختلاف المعارف، وتباين الأحوال والمقامات، والأماكن، وغير ذلك مما شاهدوه، ظاهراً وباطناً هو الغيب الذي وصفه الله تعالى[٤٤] بقوله: "الذين يؤمنون بالغيب"[٤٥]، ومن لا يعتقد بعلم الباطن فسنحيله إلى قوله (صلى الله عليه وسلم): "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله تعالى، فإذا نطقه ينكره أهل الغِرّة"[٤٦]. ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لحارث بن مالك" "لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت[٤٧] نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني انظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وكأني انظر إلى أهل النار يتضاغون[٤٨]

فيها، فقال: "يا حارث، عرفت فالزم"[٤٩]، ونصحه ألا يخبر بذلك كل أحد لئلا ينكر عليه ما هو عليه من الكشف الصريح، لأن الناس أعداء ما جهلوا، كما هو معروف ومشهور.

وقال الجنيد البغدادي[٥٠]: "أبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل، والخصوص، أهل الخصوص: هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات"[٥١]، وما ذكرناه كاف لمن يعقل أو ألقى السمع وهو شهيد، وما بعد الحق إلا الضلال، والحقيقة المحمدية هي من الحقائق العظمى من ذلك العلم، فما هي هذه الحقيقة؟

الحقيقة المحمدية: إنها من الحقائق الكبرى، المثيرة للجدل والحيرة، لأنها فوق طور العقل ومدارك العامة، وليس من السهولة – بمكان – الاعتقاد بها، والتي لا يصل إلى حضرتها الشريفة إلا أهل الخصوص، الموفقون من هذه الأمة، من أرباب البصائر والمشاهدات والكشف الصحيح، وقد صرح بوجودها نثراً منصور الحلاج[٥٢] في القرن الثالث الهجري، ثم اهتزت وربت في القرن السادس الهجري على يدي العارفين بالله وشيوخ الطرق الصوفية والشعراء المبدعين قال الحلاج: "أول ما خلق الله نور محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأول ما أوجد الله في خلقه ذرة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأول ما حوى القلم: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"[٥٣]، ويعتقد أهل التصوف أن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو أول من خلقه الله تعالى، وآدم بين الماء والطين[٥٤]، فهو وإن تأخر جسداً وبعثاً، لكنه المتقدّم خَلقاً ووجودا، وقد أكد وجودها الشيخ أحمد الرفاعي[٥٥] بقوله: "فالنبي العظيم، خاتم دولة النبوة، وأولها سبقاً، وإن تأخر بروزاً وبعثاً"[٥٦] وقال ابن عربي[٥٧]: "فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي، ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بُعث"[٥٨].

ومن ثم أطلق ابن عربي اسماً آخر على هذه الحقيقة وهو الروح المحمدي، بقوله: "فالإنسان الكامل، إذن – هو المرموز إليه آدم – هو الجنس البشري في أعلى مراتبه، لم تجتمع كمالات الوجود العقلي والروحي والمادي إلا فيه، والإنسان – وإن كان مرادفاً للجنس البشري – لا يصدق في الحقيقة إلا على أعلى أرقى مراتب الإنسان، وهي مرتبة الأنبياء والأولياء، وأكمل هؤلاء على الإطلاق هو النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، لا محمد النبي المبعوث، بل الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي، فإنه هو المظهر الكامل للذات الإلهية، والأسماء والصفات، ومن هنا كانت طبيعته ثلاثية، فردية، فهو الفرد الأول الذي تجلى الحق فيه، وأول الأفراد والثلاثة (الفص المحمدي)[٥٩].

وكذلك، يطلق على الحقيقة المحمدية (الكلمة) ويعدّها مصدر كل وحي وإلهام للأنبياء والأولياء على السواء، وعلى ذلك، فالحقيقة المحمدية، تساوي القطب عند الصوفية والإمام المعصوم عند الإسماعيلية[٦٠] والقرامطة[٦١]، أي: إنها المحور الذي يدور عليه العالم الروحاني[٦٢]، ومن ثم قال: "كل نبي تحت تأثير اسم إلهي خاص إلا محمداً عليه السلام، فإنه تحت تأثير اسم (الله) الذي هو جماع الأسماء الإلهية كلها"[٦٣]، فأتم كلامه بقوله: "فكان عليه السلام أول دليل على ربه، فإنه أوتي جوامع الكلم، التي هي مسميات أسماء آدم"[٦٤]، وذكر كمال وجوده بقوله: "إنما كانت حكمته فردية، لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، لهذا بدئ الأمر به وختم، فكان نبياً وآدم بين الماء والطين، كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين..."[٦٥]، وقال أيضاً: "إن أول ما خلق الله الهباء، وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل سائر الحقائق، وحينما تجلى الله بنوره إلى ذلك الهباء، فكل شيء أخذ من ذلك النور حسب قربه من الله عز وجل، ولم يكن أحد أقرب إليه من حقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فكان مبدأ ظهور العالم وأول موجود"[٦٦]، وأن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذ هو قطب الأقطاب: "فإن أنوار رسالته غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين"[٦٧].

وحقيقة محمد (صلى الله عليه وسلم) "تارة يعبر عنها بالعقل الأول وتارة بالنور"[٦٨]، وقد أفصح عن هذه الحقيقة أيضاً عبد السلام بن مشيش الحسني[٦٩] – الذي كان معاصراً لابن عربي – في الوظيفة الشاذلية التي تنص على أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أصل كل موجود، فقال: "اللهم صلّ على مَن منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم، بأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه سابق ولا لاحق"[٧٠]، وأكد ابن عربي وابن مشيش أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو سبب الوجود الإنساني، وذكر ابن عربي ما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وعلل ذلك بكماله" حين يقول: "لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني"، لعموم رسالته وشمول شريعته، فخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأشياء لم تعط لنبي قبله، وما خصّ نبي بشيْ إلا وكان لمحمد (صلى الله عليه وسلم)، فإنه أوتي جوامع الكلم، لأنه قال: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته[٧١]، وقال الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي[٧٢] ذاكراً معراجه الروحي ومراتب سلوكه، فقال: "ثم ترقيت إلى القابلية التي عبارة عن الحقيقة المحمدية، بمدد الشيخ بهاء الدين نقشبند[٧٣] – قدس الله سره العزيز – ثم إلى مقام إجمال تلك القابلية... وهو مقام الأقطاب المحمدية، بمدد الروح المقدسة النبوية"[٧٤].

ويعتقد الصوفية أن الكائنات تكونت ببركة اسمه (صلى الله عليه وسلم)، روي أن الشيخ أحمد بن عبد الله الغوث[٧٥]، قال لأحد مريديه "يا ولدي لولا نور محمد (صلى الله عليه وسلم) ما ظهر سر من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجرت عين من العيون، ولا جرى نهر من الأنهار..."[٧٦] ولا أثمرت شجرة، ولا نبت ولا زرع، ومنهم من يدعو الله سبحانه باسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ".... وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم، وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلّت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فجرت، وعلى العيون فنبعت وعلى السحاب فأمطرت"[٧٧].

لأن ذاته عليه الصلاة والسلام مسقية بجميع أنوار الأسماء الحسنى، وممدودة بأسرارها، فيكون في ذاته (صلى الله عليه وسلم) نور الصبر ونور الرحمة ونور الحلم ونور العفو ونور المغفرة ونور العلم ونور القدرة ونور السمع ونور البصر ونور الكلام، وهكذا حتى تأتي على جميع الأسماء الحسنى، فتكون أنوارها في الذات الشريفة على الكمال[٧٨].

والحقيقة المحمدية أزلية، وتنتقل من نبي إلى نبي، ثم بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) ستنتقل من قطب إلى قطب حتى تقوم القيامة، وكان كل نبي يأخذ من الحقيقة بقدر، أما الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد ظهرت فيه على أكمل معنى، وأتم صورة[٧٩]، وهذا واضح بقول ضياء الدين الغرناطي[٨٠] (من البسيط):

وأحمدُ المصطفى المختار سيدنا قد فاز منها بأوفر الحظ والقسمِ[٨١]

والحقيقة المحمدية أزلية، أبدية من حيث الذات أو الوجود الروحي، أما تشخيصها الخارجي فهو حادث فان[٨٢].

والفرق بين الغرناطي وغيره، أنه لا يربط القبطانية بالنبوة، إذ الحقيقة عنده تنتهي بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا ما ورد في شعره (من البسيط):

فغاب عن رؤية الأكوان واتصلت أوصافه بصفات الواله الفهمِ
فذاك الذي سرحت في العلو همته فبات في نظر الأغيار في حرمِ
سما عن الوجد لما لاح موجده فالذات مثبتة والأين في عدمِ[٨٣]

وكذلك، لم يعتقد عبد العزيز الدريني[٨٤] بتنقل النور المحمدي من قطب إلى قطب، كما اعتقد بها السيد أحمد البدوي[٨٥]، وإبراهيم الدسوقي القرشي[٨٦]، ويروى أن الذي استحدث شعر الحقيقة المحمدية في مصر هو السيد البدوي ثم تبعه الدسوقي[٨٧]، وأصبحت الحقيقة المحمدية أصلاً من أصول التصوف، إذ هي صلة الوصل بين الله والخلق، والقوة المدبرة التي يصدر عنها

كل شيء، فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) البرزخ بين الذات الأحدية وبين سائر الموجودات[٨٨]، قال الشيخ محمد الرواس الرفاعي[٨٩] (من الكامل):

يا من وطينة آدمٍ في مائها مخمورة لك بالنبوةِ مظهرُ[٩٠]

وقال أيضاً (من الرمل):

لا تسل عن معجزات ظهرت منه جلّت وهي تبدو للقيامةْ

وهو نور أزلي طرزه صار في وجه وجود الكون شامةْ[٩١]

عِلّةُ الخلقِ ومن هذا نرى أوجبَ اللهُ على الخلق احترامهْ[٩٢]

ثم قفّى ذلك نثراً: "يا أحمد الدقائق الصفاتية، يا آدم، آدم، يا أبا العالم، يا عين الكل، لولاك ما كان، يا روح الكل، ولأجلك خلق وكان..." [٩٣].

وقال ابن نباته المصري[٩٤] متفقاً على مقاله الرواس في الذات المحمدية (من البسيط):

لولاه ما كان أرض لا ولا أفقُ ولا زمانٌ ولا خَلق ولا جيلُ

ولا مناسك فيها للهدى شهب ولا ديارٌ بها للوحي تنزيلُ[٩٥]

وقال الشيخ محمد البكري[٩٦] (من الخفيف):

قبضةُ النور من قديم أرتنا في جميع الشؤون قبضا وبسطا

وهي أصلٌ لكل أصل تبدّى بسطت فضلها عن الكون بسطا

طلسمٌ حارت العقولُ فيه كنزُ بحرٍ قد شطّ في الدّرك شطّا[٩٧]

وآخر من نستشهد بقوله هو المستشرق الانجليزي نيكلسون[٩٨] الذي قال في الحقيقة المحمدية: "ولكن يجب أن لا ننسى أن الصوفية في جملتهم، يعتبرون محمداً (صلى الله عليه وسلم) كلمة الله، أو نور الله الذي كان له وجود قبل وجود الخلق، بل كان وجود الخلق من أجله، وتظهر هذه الكلمة الإلهية في كل دورة من الزمان في صورة الأنبياء والأولياء، وهؤلاء هم وحدهم الكاملون بالفعل"[٩٩].

ثم قال: "المطاع يمثل الصورة المثالية التي يسمونها الحقيقة المحمدية، أو النور المحمدي، الإنسان السماوي الذي خلقه الله على صورته، ويعتبرونه قوة كونية، يتوقف عليها نظام العالم وحفظه"[١٠٠]، ثم لم يزل يحوم حول تلك الحقيقة بقوله: "إن أول شيء خلقه الله هو الروح المحمدي أو النور المحمدي الذي ظهر بصورة آدم، ثم بصورة كل نبي بعده، حتى ظهر أخيراً في صورة النبي محمد نفسه"[١٠١]، ثم يردف قوله متمما: "فمحمد إذن ليس المصدر الذي

يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله فحسب، بل هو الحقيقة السارية في الوجود بأسره، كما أنه العلة الأولى في خلق كل ما هو مخلوق، والعقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق (الله) وبين عالم الطبيعة، وهو ممثل العناية الإلهية التي تحفظ على العالم كيانه وتدبيره، وهو خليفة الله الذي ظهر في هذا العالم لكي يظهر فيه جلال من أوجده، وليس العالم إلا صورة الحقيقة المحمدية، كما أن الحقيقة المحمدية ليست إلا صورة الله"[١٠٢].

ولكن هنالك حقيقة أخرى تنفرد بحضرتها وهي الحقيقة الأحمدية، فما هي ؟

الحقيقة الأحمدية: "هي الأمر الذي سبق به (صلى الله عليه وسلم) في الحمد لله كل حامد من الوجود، فما حمد الله أحد في الوجود مثلما حمده النبي (صلى الله عليه وسلم) في الوجود، ثم أنها في نفسها، أي: الحقيقة الأحمدية، غيب من أعظم غيوب الله تعالى، فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والمنح والمواهب والأصول العلية، والأخلاق الزكية، فما ذاق أحد منها شيئاً، ولا جميع الرسل والنبيين والمرسلين، وجميع الملائكة والمقربين، وجميع الأقطاب والصديقين، وجميع الأولياء والعارفين، كل ما أدركوا على إجماله وتفصيله، إنما هو فيض من الحقيقة المحمدية (صلى الله عليه وسلم)، وأما حقيقته الأحمدية فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها!!"[١٠٣].

وبان الفرق بين الحقيقتين، فالأولى عامة، والثانية خاصة بمقامه (صلى الله عليه وسلم).

تعقيب وردود: قيل: أن أول من ذكر الحقيقة نثراً هو الحلاج كما مر آنفاً، وهذا غير صحيح، لأن سيدتنا آمنة بنت وهب عفا الله عنها، حين حملت برسول الله (صلى الله عليه وسلم) قيل لها: "إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على هذه الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سمّيه محمداً"، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور، رأت به قصور بُصرى من أرض الشام[١٠٤]. ثم ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك الحقيقة بنفسه حين سأله جابر بن عبد الله: "يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر، إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك محمد (صلى الله عليه وسلم) من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت، لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا إنس ولا جن..."[١٠٥].

وقال ابن حجر الهيتمي[١٠٦] في فتاويه: "ثبت بالأدلة الصحيحة أن نبينا أفضل من آدم ومن سائر النبيين لقوله: "وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي"، وفي الصحيح قوله: "أنا سيد الناس يوم القيامة"، وقوله: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء

الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي"، فهذا صريح في أفضلية نبينا على آدم (صلى الله عليه وسلم) [١٠٧].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة حين ذكر النور الذي أنزل، بقوله تعالى: ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين))[١٠٨]، وهذا النور هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما ذكر ذلك ترجمان القرآن وحبر الأمة ابن عباس، وحينما قال تعالى: ((وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم))[١٠٩]، قال ابن عباس: "أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله"، وقد صدق لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد دعا له بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[١١٠]. ولذلك لا يجوز التأويل والتشكيك في تفسيره لأنه من الثقات العدول، وما قاله عين الحقيقة، فما أوردناه من أقوال وأحاديث وآيات لدليل على أن الحلاج ليس أول من ذكر الحقيقة المحمدية نثراً.

وقيل: أن السيد أحمد البدوي أول من نظم شعراً في الحقيقة المحمدية بمصر، وسار على أثره الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي[١١١]، هذا إذا أردنا البيئة واتصالها بالشعر، أما في الشعر العربي فقد سبق العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) الشعراء جميعاً، لأنه أول من نظم الشعر في الحقيقة المحمدية في صدر الإسلام، فعن خريم ابن أوس بن حارثة قال: "هاجرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقدمت عليه من منصرفه من تبوك، فأسلمت، فسمعت العباس ابن عبد المطلب يقول: يا رسول الله، أريد أن أمتدحك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا يفضض الله فاك"[١١٢]، فأنشد يقول (من المنسرح):

من قبلها طبتَ في الظّلالِ وفي مستودع حيثُ يخصفُ الورقُ[١١٣]
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علقُ[١١٤]
تُنقل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندفَ علياء تحتها النطقُ[١١٥]
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفقُ
فنحن من ذلك الضياء وفي النور وسبلُ الرشاد تخترق[١١٦]

وقد انجلت الحقيقة في بداية القطعة الشعرية ولا مجال للتأويل فقط أراد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مخلوق يختلف عن طبيعة البشر، وبأن: "الرسول قد استودع منذ القدم في صلب آدم، وهو في الجنة، ثم انتقل من شريف إلى صلب أشرف، إلى أن أضاءت الأرض بمولده وأشرقت، وبهذا يكون العباس"[١١٧]، أول من أشار شعراً إلى الحقيقة المحمدية في التأريخ وليس السيد أحمد البدوي وإن كان في مصر.

وقد التفت إليها الفقيه أبو حنيفة النعمان[١١٨]، فقال (من الكامل):

أنت الذي لولاك ما خُلق امروٌ كلا، ولا خُلقُ الورى لولاكا
أنت الذي من نورك البدر اكتسى والشمسُ مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما توسّل آدمُ من زلّة بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت نارهُ برداً وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوبٌ لضرّ مسّهُ فأزلّ عنه الضرّ حيث دعاكا[١١٩]

وفي منتصف القرن السادس الهجري ذكر الحقيقة المحمدية في شعره أبو نزار النحوي البغدادي[١٢٠] بقوله (من المنسرح):

يا خاتم الأنبياء قاطبةً أتاك لفظ الثناءِ يستبقُ
كنت نبياً وطينُ آدم مجدولٌ وتلك الأنوار تأتلقُ[١٢١]

وفي القرن السادس الهجري أشار إليها ابن عربي[١٢٢] في شعره قائلاً (من الكامل):

يا منزل الآيات والأبناء أنزل عليّ معالمَ الأسماءِ
حتى أكون لجدّ ذاتك جامعاً بمحامد السرّاءِ والضرّاءِ
ويكونُ هذا السيد العلم الذي جردته من دورة الخلفاءِ
وجعلته الأصل الكريم وآدمٌ ما بين طينة خلقه والماءِ[١٢٣]

وفي القرن السابع الهجري ألمح السيد أحمد البدوي[١٢٤] إلى تلك الحقيقة بقوله (من الخفيف):

أنا من قبل قبل قبل وجودي كنت غوثا في نطفة الآباء[١٢٥]

وقوله (من الكامل):

لم يشرب العشاق من بحر الهوى إلا بقية نقطة من طينتي
فقرأت من توراة موسى تسعةً تُليت على موسى لها لم يثبت
وقرأت من أنجيل عيسى عشرةً تليت على عيسى فزادت رفعتي[١٢٦]

وفي مستهل القرن السابع الهجري اشتهر يحيى الصرصري[١٢٧] بمدائحه النبوية، فقال شعراً في الحقيقة المحمدية (من البسيط):

وكنت خير نبي عند خالقنا وروح آدم لم ينهض بها الجسدُ[١٢٨]

ثم يتكلم عن تنقل النور المحمدي في الأنبياء، من نبي إلى نبي حتى ولادته (صلى الله عليه وسلم) (من البسيط):

نقلت من كل صلب طال محتده إلى بطون زكت ما شانها نكدُ[١٢٩]

وكنت في صلب إبراهيم مستترا ونارُ نمرودَ أشقى الخلق تتّقدُ
ومُذ حملت بدت في وجه آمنة الأنوار وهي بثقل الحملِ لا تجدُ
فأبصر اسمك فوق العرش مكتتبا وتلك منزلة لم يعُطها أحدُ[١٣٠]

ولم يزل الشاعر في فلك الحقيقة المحمدية بقوله (من البسيط):

لولاه لم يخلق الرحمنُ آدمَ ولا الجنانَ ولا النيرانَ للنقمِ[١٣١]

وأردف قائلاً (من البسيط):

محمد أحمد المختار في الملأ الأعلى وآدم لا روحا ولا جسدا
فحين أصبح ذا سمعٍ وذا بصرٍ رأى اسمه فوق ساق العرش منفرداً[١٣٢]

وبعد الصرصري كان للبوصيري[١٣٣] دوره الكبير في إغناء الشعر الصوفي بقصائد المديح التي أثنى عليها النقاد وارتضاها الصوفية رحيقا مختوما في مجالس أذكارهم وخلواتهم، وقد اشتهرت قصيدته المعروفة بالبردة بين المسلمين عامة، والصوفية خاصة، وقد ذكر الحقيقة المحمدية بوضوح دون لبس أو غموض أو تأويل، إذ أقر أن الدنيا لم تخرج من العدم إلى الوجود إلا بنور محمد (صلى الله عليه وسلم)، فارتبط وجودها بوجوده، حتى فاق النبيين خَلقاً وأخلاقاً، ولم يدانوه في علومه وأسراره وأنواره، فكلهم ملتمس منه، أما غرفا من تلك الفيوضات الربانية أو رشفا منها على قدر مقاماتهم وأحوالهم، فهو سيد الكونين والثقلين من إنس وجن وعرب وأعاجم، وكل معجزات الرسل مستقاة من نوره المحمدي وحقيقته (صلى الله عليه وسلم)، ومن فيضه خُلقت الدنيا والآخرة، وظهرت علوم اللوح والقلم – وأن بالغ في ذلك – لكننا نقف موقف الحياد والسكوت عنها، ونتركها لأهلها من أفراد الرجال، وأكابر العارفين، العدول، فهم أرباب المشاهدات والتجليات والكشف المؤيد، والمقربين إلى الحضرات القدسية، وهم أعلم بمقام تلك الحقيقة وما فيها من الحقائق العزيزة، التي تستنير القلوب بإشراقاتها الجمالية شوقاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحقيقته الكبرى، ذات الهيبة والوقار والبهاء، وهذه مقتطفات من قصيدته البردة (من البسيط):

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدمِ
محمد سيّدُ الكونينِ والثقلين والفريقينِ من عُرب ومن عجمِ
فاق النبيين في خَلق وفي خُلقِ ولم يدانوهُ في علمٍ وفي كرمِ
وكلّهُم من رسولِ الله ملتمسٌ غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدّيمِ[١٣٤]

وكيف يَدرك في الدنيا حقيقته قومٌ نيامٌ تسلّوا عنه بالحلمِ
فمبلغُ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خيرُ خلقِ اللهِ كلّهمِ
فإنه شمسَ فضلٍ هَمْ كواكبها يُظهرن أنوارها للناس في الظلمِ
فإن من جودك الدنيا وضرتها[١٣٥] ومن علومك علمُ اللوحِ والقلمِ[١٣٦]

وقال أيضاً (من الخفيف):

كيف ترقى لرقيك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سماءُ
لم يساورك في علاك وقد حال سناً منك دونهم وسناءُ[١٣٧]

وأخذ يشير إلى تلك الحقيقة (من الكامل):

الله فضّله ورجّح قدرَه فليهنهِ التفضيلُ والترجيحُ
إن جاء بعد المرسلين ففضلُه من بعدهِ جاء المسيحُ ونوحُ[١٣٨]

فرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة العظمى، ورافع لواء الحمد، وأول مشفع يوم القيامة، ولكها تدل على رفعة منزله ورقي معراجه، وهو سيد الناس من ذرية آدم عليه السلام[١٣٩]، فقال البوصيري مؤكداً وجود تلك الحقيقة (من البسيط):

محمد حبيت بالنور طينته محمد لم يزل نوراً من القدمِ[١٤٠]

وذاكراً نبوته التي سبقت جميع النبوات (من الكامل):

عجباً لهم لِم ينكرون نبوةً ثبتت ولم ينفخ بآدمَ روحُ[١٤١]

وقال أيضاً (من الرمل):

أحمد الهادي الذي أمته رضي الله لها الإسلامُ دينا
كان سرّاً في ضمير الغيب من قبل أن يُخلق كونٌ أو يكونا
ختمَ الله النبيين به قبل أن يُجبلَ من آدمَ طينا
فهو في آبائهم خيرُ أبٍ وهو في أبنائهم خيرُ البنينا[١٤٢]

ثم يأخذ بذكر الأنبياء الذي استغاثوا باسمه فنصرهم الله سبحانه ونجاهم مما كانوا فيه من الضر والكرب والأذى، فقال (من الرمل):

ودعا آدمُ باسم المصطفى دعوة قال لها الصدق أمينا
وبه نوح دعا في فلكه فأغاث الله نوحا والسفينا
وشفى أيوب من ضرّ كما سُرّ يعقوبَ وقد كان حزينا

وخليل الله همّت قومه أن يكيدوه فكانوا الأخسرينا
وبنور المصطفى إطفاء ما أو قدره وتولوا مدبرينا[١٤٣]

وتعد قصيدة الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي[١٤٤] من أكثر القصائد إثارة ورواجا قيلت في الحقيقة المحمدية – وكان الدسوقي معاصرا للبوصيري – بسبب تفردها في عالم الصياغة والإبداع الفني، لجرأته في الطرح، وصدقه في تناولها، وما أن يقرأها القارئ حتى تدهشه معانيها وبلاغتها، لأنه رافق عوالمها واستنار بأنوارها وتجلياتها، إذ كان مع نور محمد عليه السلام قبل خلق هذا الوجود، وهو الذي تمثل لإبراهيم عليه السلام حين همّ بذبح ابنه، وكان مع إدريس عليه السلام يوم أرسله الله سبحانه إلى قومه هادياً ونذيرا، وهو القوة الروحية التي غمرت الوجود بالطوفان، وأنقذت نوحاً عليه السلام من الغرق، ومن كان معه من المؤمنين، المخلصين، ويعتقد – جازما – أن الحقيقة المحمدية ستظل قائمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، تنتقل من قطب إلى قطب، وهو أحد مظاهر القبطانية، بوصفه شيخ الطريقة البرهامية[١٤٥]، قال (من الطويل):

نعم، نشأتي في الحب من قبل آدمٍ وسرّي في الألوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمدٍ على الدرة البيضاء في خلويتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه بلطف عنايات وعين حقيقةِ
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا وأسكن في الفردوس أنعم بقعةِ
أنا كنت مع نوحٍ بما شهد الورى بحاراً وطوفاناً على كفّ قدرتي
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالةٍ أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقةِ[١٤٦]

وما أن نصل القرن الثاني عشر الهجري حتى يبزغ لنا شاعر آخر ينظم قصائد في تلك الحقيقة، وهو يوسف أفندي الطرابلسي[١٤٧] القائل (من الكامل):

في غيهب الأكوان لما أن بدت فوق المنصة أسفرت وحداتها
ولها تضاءلت الفهوم وكيف تدري شأوها أو شانها لمحاتها
فالعرش والكرسي والقلم الذي يجري على لوح الوجود هباتها
منها على الكونين أصل سيادة لما تحلّت بالتجلي ذاتها
فوسائط الكونين والثقلين مذ وجدوا لديهم كلهم بركانها
ودعاء نوحٍ قومَه بنيابةٍ عنها لتبلغ في الورى دعواتها
وكذلك الرسل الكرام جميعهم نوابها، وكلامهم كلماتها
فهمُ وإن كانوا لها أبّا فهم[١٤٨] أبناؤها وبحار هم قطراتها[١٤٩]

وفي القرن الثالث عشر الهجري ظهر قطب من أقطاب الرفاعية هو الشيخ محمد الرواس الرفاعي الحسيني[١٥٠]، الذي جعل شعره مقتصراً على الثناء والحمد لله وذكر الذات المحمدية وأوصافها ومعجزاتها وما في حقيقتها من الأسرار والحكم والتجليات الإلهية التي تتعالى على عقول العامة لعلو مراقيها ومعراجها وعزة حضرتها، قال ابن عربي: "إنما كان الناس ينكروا على أهل الله تعالى علومهم، لأنها جاءت أصحابها من طريقة غريبة، غير مألوفة، وهي طريقة الكشف، وأكثر علوم الناس إنما جاءتهم من طريق الفكر، فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق، وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله ويدخل في دائرتهم، ولكن لله في ذلك حكم وأسرار"[١٥١].

ومحمد الرواس من أهل البصيرة والكشف والمشاهدات، فهو الأقرب إلى الحضرة المحمدية لنسبه الشريف، والأعلم بما فيها من الأسرار العرفانية، والعلوم الملكوتية، لأنه من الموفقين الذين وصلوا إلى المقام المحمدي العزيز المنال، فقال في ذلك (من البسيط):

لولاك لم تُلوَ في الآفاق بارقة ولم يكن قبلها عرش ولا مَلكُ
وأنت بحر إلهي أقيم على شراعِ إحسانه المملوك والمِلكُ
وأنت لولاك لم تُبنَ السماءُ يدُر بمحوره في سمكها الفلكُ
وأنت لولاك لم يُجلَ النهار لنا ولم يُجَّر بنا كلكاله الحلكُ[١٥٢]
يا روحَ كلّ نبي قبل أمته ونور كل وليّ أينَ ينسلكُ
يا من به الأرضُ عن أوتادها اعتصمت ثم السموات والأبراج والحبكُ[١٥٣]

ثم قال معتقداً بها (من الكامل):

كل الوجود على اختلاف صنوفه في الغيب مشمول بغيض محمدِ
نور به اهتدت العوالم كلها وبمثله كل العوالم تهتدي
المرسلون به اقتدت لما سرى أنعِم بذاك المقتدى والمقتدي[١٥٤]

فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) علة الوجود ولولاه ما كان ولم يكن، هذا ما ورد في شعر الرواس (من البسيط):

محمدٌ عِلّةُ الأكوانِ أيدّهم بعزمه فعلو بالسرّ والصورِ
له قد اختارهم في الغيب خالقهم فهم أتَوا بعده سعياً على الأثرِ[١٥٥]

وقد أكد وجودها لأنه استضاء بنور مشكاتها، واستنار بجلالها وبهائها، فلا يصرّح إلا عن تثبت وعلم يقين، وهذا ما ورد في قوله (من مجزوء الكامل):

ولنحنُ عصمُتنا بمن حُيي بأصدقِ عصمةِ

سرُّ الرسالةِ روُحها في النشأةِ الأبدّيـةِ
من قبلِ طينـةِ آدمٍ بالصّبغةِ الرّوحيـةِ
قامت نبوتهُ على عرشٍ رفيعِ المنصّةِ[١٥٦]

ثم قال الرواس نثراً: "...ملك دوائر الكنوز العلمية، وسلطان مظاهر الرموز العلمية، آية الله الكبرى... محمد نبوّة الأزل، وأحمد رسالة الأبد، وصاحب الفضل الأمم بعد الله تعالى على كل أحد..."[١٥٧] وأردف مكملاً: ".... إذ هو الواسطة العظمى والمرشد الحق... والحجة القائمة، وسر الوجود، وباب الأبواب إلى الله الوهاب، وهو روح عالمي الدنيا والآخرة، وشرف النوع الإنساني، والوسيلة الكبرى التي تبتغى، وسيد كل من لله عليه سيادة"[١٥٨]، ثم يعود إلى حضرتها قائلاً (من الكامل):

روحُ الوجود سناءُ كل حقيقة سامي الجناب اللمعةُ البيضاءُ
المنتقى من لبّ عنصرها شمٍ إبنا سمَت بفخاره الآباء[١٥٩]
هو نورُهم في كنز نشأةِ كونهم والطّينُ لم يُعجن لهم والماءُ
نسخ الشرائع كلها بشريعة خضعت لحكمة نصها الحكماءُ[١٦٠]

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه لم يكن هنالك إلا العماء وهو أول من خلقه الله تعالى من نوره وقد أشار إلى ذلك الرواس بقوله (من الخفيف):

جاء والكون في ظلامٍ بهيمٍ فبدا نوره بكلّ النواحي
الحبيب العظيم، معنى التدلي والتجلي وكنز كل سماحِ[١٦١]

ولولا شيوع هذه الحقيقة لما بلغ صداها آفاق المغرب، ليقول فيها ابن خلدون[١٦٢] في مقدمته: "وأول مراتب التجليات عندهم – يقصد الصوفية – تجلي الذات على نفسه، وهو يتضمن الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني، وهذا الكمال في الإيجاد المتنزل في الوجود، وتفصيل الحقائق، وهو عندهم عالم المعاني، والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكمّل من أهل الملة المحمدية، وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية، ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية، وهي مرتبة المثال، ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الأملاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب، هذا في عالم الرتق، فإذا تجلت فهي في عالم الفتق، ويسمى هذا المذهب، مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات، وهو كلام لا يقتدر أهل النظر إلى تحصيل مقتضاه، لغموضه وانغلاقه، وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل، وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب"[١٦٣].

وما قاله ابن خلدون صحيح، لأن الخلاف من سمات الفكر الإنساني المتجدد، ولولاه لما كانت هناك حركات تحرر وثورات ومدارس فنية جديدة ونهضات فكرية، لأن المفاهيم الجديدة تثير العقل البشري وتستفزه لملاحقة ما استجد من الأفكار والمخترعات والمكتشفات التي تمس مفاصل الحياة البشرية كلها، ولابد من الاختلاف لأهمية دوره الفاعل في تطوير الحياة الإنسانية، في المجالات كافة، وهذا ما ذكره الله سبحانه بقوله: ((ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين))[١٦٤].

فالخلاف أداة تثوير لمدارك الإنسان وتحريك لقواه العقلية، لهذا جاء الله سبحانه بالفعل مضارعاً لتأكيد وجود الخلاف وديمومته وبقائه ما دامت هنالك حياة وعقل.

ومن خلال ما ذكرنا يتأكد لنا أن الخلاف في وجود الحقيقة المحمدية أو عدمها، ظاهرة فكرية، عقائدية، لابد من وجود رفض أو قبول أو الوقوف موقف الحياد من علم الحقائق لما شاعت تلك الفكرة أو الحقيقة أو الروح المحمدي، أو الكلمة، فعلم الحقائق لدني، إلهي، وهذا ما ورد في قول ابن عربي: "نحن بحمد الله، لا نعتمد في جميع ما نقول إلا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا، لا على ما تحتمله الألفاظ... جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاء إلهي وإلقاء رباني، أو نفث روحاني، في روع كياني، كل ذلك، بحكم الإرث، لا بحكم الاستقلال"[١٦٥]، ثم قال ناصحا: "يجب على كل عارف ستر ما تعطّف الحق تعالى به على قلبه من علوم الأسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير"[١٦٦].

وأرجو أن أكون قد وفقت في بحثي المتواضع هذا – قدر المستطاع – فإن سهوت أو عثرت أو أخطأت فليعذرني من هو أكثر فهماً وإطلاعاً وعلما على ما كان مني، وما الكمال إلا لله وحده، وما أردت إلا الخير وخدمة العلم، الله الموفق لما فيه الخير للجميع.

الهوامش

(١) فيلسوف هندي، اعتنق العقيدة الجينية، من فلاسفة القرن السادس الميلادي/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة/ د. عبد المنعم الحفني: ص٣٢٣.

(٢) م.س: ص٣٢٣.

(٣) الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم: ص٢٣٤-٢٣٥.

(٤) م.س: ص٢٥٠-٢٥١.

(٥) لقمان/ ٢٠.

(٦) النساء/ ٨٣.

(٧) اللمع في التصوف/ لأبي نصر الطوسي، ص٢٣ – ٢٤.

(٨) جمهرة الأولياء/ المنوفي: ٨٨/١.
(٩) الكهف/ ٦٦.
(١٠) الكهف/ ٦٨.
(١١) الكهف/ ٦٩ – ٧٠.
(١٢) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي: ٦٤/٤.
(١٣) م.س: ٢٥٣/٢.
(١٤) شيخ الطريقة البرهامية، صاحب الكرامات والأسرار العرفانية، مات بمصر سنة ٦٧٦هـ/ الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٣٤ – ٢٥٨. شذرات الذهب/ الحنبلي: ٣٥٠/٥-٣٥١.
(١٥) الكواكب الدرية/ المناوي: ١٠٢/٢.
(١٦) هو من مشايخ مصر الكبار، عالم عابد، عارف زاهد، مات سنة ٥٦٤هـ/ جامع كرامات الأولياء/ يوسف النبهاني: ٢٨٧/٢-٢٨٨. الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢١٤-٢١٦.
(١٧) الكواكب الدرية/ المنادي: ٦٣/٢، لطائف المنن/ الشعراني، ص٤٨٣.
(١٨) سيد الطائفة الصوفية وإمامهم، أصله من نهاوند، ولد ونشأ بالعراق، مات سنة ٢٧٩هـ/ الرسالة القشيرية/ القشيري، ص١٨، سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٣٨/٩.
(١٩) الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص١٩. سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٣٨/٩ – ٤٠.
(٢٠) هو أحمد بن عمر البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات، مات سنة ٣٠٣هـ/ م.س: ١١٥/٩-١١٦.
(٢١) الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص١٠.
(٢٢) سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٣٩/٩.
(٢٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار/ السيد حيدر العلوي، ص١٩٦.
(٢٤) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي: ١٥/٢.
(٢٥) من كبار مشايخ مصر وأوحدهم وفي وقته، مات بعد سنة ٣٤٠هـ/ طبقات الصوفية/ السلمي، ص٣٨٦.
(٢٦) م.س، ص٣٨٧.
(٢٧) هو علي بن عبد الله الشاذلي، الزاهد الضرير، من كبار العارفين والمحققين، مات سنة ٦٥٦هـ/ طبقات الأولياء/ ابن الملقن، ص٤٥٨ – ٤٥٩. سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٠/١٤.
(٢٨) الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص١ ، ١٤.
(٢٩) سلطان العلماء، الإمام العلامة، وحيد عصره علماً وحالاً، فوض إليه قضاء مصر، وله كرامات، مات بمصر سنة ٦٦٠هـ/ سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٣/١٤. شذرات الذهب/ الحنبلي: ٣٠٣/٥.
(٣٠) الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٣.
(٣١) م.س، ص٢٣.

(٣٢) الإمام محمد بن محمد الطوسي، الغزالي، حجة الإسلام، وكهف العلوم الدنيوية والأخروية، له مؤلفات كثيرة، أشهرها: إحياء علوم الدين، مات بطوس سنة ٥٠٥هـ/ سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٥٠١/١١. الكواكب الدرية/ المناوي: ٨٣/٢ – ٨٦.

(٣٣) إحياء علوم الدين/ الغزالي: ١٧/٥، شذرات الذهب/ الحنبلي: ١٣/٤.

(٣٤) إحياء علوم الدين/ الغزالي: ١٧/٥.

(٣٥) شيخ الطائفة الرفاعية، أصله من المغرب، وسكن قرية عبيدة من البطائح في العراق، ومات سنة ٥٧٨هـ/ طبقات الأولياء/ ابن الملقن، ص٩٣ – ١٠١. الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٠٠ – ٢٠٦.

(٣٦) م.س، ص٢٨.

(٣٧) أصله من فارس ونشأ بواسط، العراق، قتلته شطحاته/ طبقات الصوفية/ السلمي، ص٣٠٧-٣٠٨. طبقات الأولياء/ ابن الملقن، ص١٨٧.

(٣٨) الكواكب الدرية/ المناوي: ٩٢/٢.

(٣٩) هو حيدر بن علي العلوي، من أفاضل فارس وعلمائها، ومشايخها، وله مؤلفات كثيرة، ومن أصحاب الكشف وهو من رجال القرن الثامن الهجري/ جامع الأسرار ومنبع الأنوار/ حيدر العلوي، ص١٤ – ١٦.

(٤٠) م.س، ص٧.

(٤١) العلق/ ٣ – ٥.

(٤٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار/ حيدر العلوي، المقدمة، ص١٢.

(٤٣) هو عبد الله بن علي الطوسي، شيخ الصوفية الزاهد، مؤلف "اللمع في التصوف" مات سنة ٣٧٨هـ/ الاعلام/ الزركلي: ٢٤١/٤. شذرات الذهب/ الحنبلي: ٩١/٤ – ٩٢.

(٤٤) اللمع في التصوف/ الطوسي، ص٨١.

(٤٥) البقرة/ ٢.

(٤٦) كشف الظنون/ حاجي خليفة: ٤٣٠/١. الغِرّة: الغفلة.

(٤٧) عزفت: زهدت وانصرفت.

(٤٨) يتضاغون: يتصايحون من الذل.

(٤٩) أسد الغابة/ ابن الأثير: ٣٩٢/١، اللمع في التصوف/ الطوسي، ص٣٣٧.

(٥٠) مرت ترجمته في ص٤ من هذا البحث.

(٥١) م.س، ص٣٣٧.

(٥٢) مرت ترجمته في ص٧ من هذا البحث.

(٥٣) المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص١٠٤.

(٥٤) البدء والتاريخ/ المقدسي: ٢٦/٥، الفتوحات المكية/ ابن عربي: ٢٢/٣، جامع الأسرار/ السيد حيدر العلوي، ص٣٨٠، ٣٩٠، فصوص الحكم/ ابن عربي ص٦٤.

(٥٥) أحمد بن أبي الحسن الملقن، الحسيني، الشريف، أوحد وقته حالاً وصلاحاً، فقيهاً، شافعياً، شيخ الطريقة الرفاعية، سكن البطائح، بين واسط والبصرة، من العراق، له كرامات، ومجالس وعظ وإرشاد، مات سنة ٥٧٨هـ/ طبقات الأولياء/ ابن الملقن، ص٩٣ – ٩٤. الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٠٠ – ٢٠٦.

(٥٦) بوارق الحقائق/ محمد الرواس الرفاعي، ص٢٣١.

(٥٧) محي الدين محمد بن علي الطائي الأندلسي، إمام الموحدين، قطب العارفين، له مصنفات أهمها: الفتوحات المكية، فصوص الحكم، وديوان شعر، وغيرها مات بدمشق سنة ٦٣٨هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ٥/١٩٠-٢٠٢، مرآة الجنان/ اليافعي: ٤/١٠٠-١٠١.

(٥٨) فصوص الحكم/ ابن عربي، ص٦٣ – ٦٤.

(٥٩) م.س، ص٣٧.

(٦٠) الإسماعيلية: اختلفت عن الموسوية، وعن الأثني عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق عليهم السلام، وعرفوا بالباطنية، لأن عندهم أن لكل ظاهر باطناً وتأويلاً، أشهر رجالهم: الحسن الصباح الإسماعيلي واتخذ من قلعة (آلموت) حصناً له، وكان عالماً بالهندسة والحساب والنجوم، وكان داهية، ذكياً، مات سنة ٥١٨هـ/ الملل والنحل/ الشهرستاني: ١/١٩٩-٢٠٥، شذرات الذهب/ الحنبلي: ٤/٥٨.

(٦١) القرامطة: ينتمون إلى رجل ظهر بسواد الكوفة اسمه قرمط، وهم خوارج، مارقون عن الدين، زنادقة، فاسدون حتى النخاع، قتلة، عاثوا في الأرض فساداً في الشام والعراق والبحرين، حتى قتلوا الحاجّ وقلعوا الحجر الأسود ثم أعادوه سنة ٣٣٩هـ، ولهم من الفضائح ما يعجز عن وصفها القلم، من قتل وتعذيب وقطع طريق، وحرق مدن وخراب قرى. انظر: الكامل/ ابن الأثير: ٦/١٦٦، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ٢٦٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٥٤٠. وشذرات الذهب: ٢/١٧١، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٣٤٨.

(٦٢) فصوص الحكم/ ابن عربي، ص٣٩.

(٦٣) م.س، ص٣٩.

(٦٤) م.س، ص٢١٤.

(٦٥) م.س، ص٢١٤.

(٦٦) اليواقيت والجواهر/ الشعراني، ص٢٥٥.

(٦٧) م.س، ص٢٥٥.

(٦٨) م.س، ص٢٥٥.

(٦٩) من المغرب، سيد شريف، أحد الأئمة العارفين، ومن أكابر المرشدين، مات سنة ٦٢٢هـ/ جامع كرامات الأولياء/ النبهاني: ٢/١٦٧ – ١٦٨.

(٧٠) التصوف الإسلامي/ زكي مبارك: ١/٢٣٤.

(٧١) الفتوحات المكية/ ابن عربي: ٣/١٤١.

(٧٢) الإمام الرباني، الشيخ النقشبندي مات بسهرند سنة ١٠٣٤هـ/ الحدائق الوردية/ الخاني، ص٤٤٠ – ٤٦٦.

(٧٣) الشيخ محمد بن محمد، بهاء الدين، نقشبند البخاري، شيخ الطريقة النقشبندية، أحد أكابر الصوفية، بحر العرفان، وكوكب الإرشاد، واقتصر على الذكر الخفي، صاحب كرامات وكشوفات وفيوضات ربانية، مات سنة ٧٩١هـ/ الحدائق الوردية/ الخاني، ص٣٢٠ – ٣٥٥. جامع كرامات الأولياء/ النبهاني: ١/٢٤٠ – ٢٥٣.

(٧٤) الحدائق الوردية/ الخاني، ص٤٤٤.

(٧٥) من أولياء المغرب المعروف بولايته/ الابريز/ سيدي أحمد بن المبارك، ص٨.

(٧٦) م.س، ص٤٤٢.

(٧٧) م.س، ص٤٤١-٤٤٢.

(٧٨) م.س، ص٤٤٣.

(٧٩) الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٢٣٢.

(٨٠) هو ضياء الدين علي بن محمد الغرناطي، المتوفى سنة ٦٨٦هـ/ م.س، ص٢٣١.

(٨١) م.س، ص٢٣٢.

(٨٢) م.س، ص٢٣٢.

(٨٣) م.س، ص٢٣٢ – ٢٣٣.

(٨٤) الشيخ العابد، الزاهد، صاحب الأحوال والكرامات الشهيرة، له مؤلفات كثيرة، مات بمصر سنة ٦٩٧هـ/ الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٨٥.

(٨٥) أحد العارفين الأولياء، صاحب أحوال وكرامات، مات بطنطا – مصر، سنة ٦٧٥هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ٥/٣٤٥ – ٣٤٦، الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٥٨-٢٦١.

(٨٦) شيخ الطريقة البرهامية، له كشوفات وأسرار عرفانية، مات بمصر سنة ٦٧٦هـ/ م.س: ٢٣٤-٢٥٨، شذرات الذهب/ الحنبلي: ٥/٣٥٠ – ٣٥١.

(٨٧) الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٢٣٣.

(٨٨) التصوف الإسلامي/ زكي مبارك: ١/٢٣١.

(٨٩) من السادة الأشراف، ومن الأولياء الكبار، له مؤلفات، وسبعة دواوين، مات ببغداد، سنة ١٢٨٧هـ/ بوارق الحقائق/ محمد الرواس الرفاعي، ص٤٦٠ – ٤٦٣.

(٩٠) م.س، ص١٢٨.

(٩١) شامة: خال.

(٩٢) م.س، ص١٩٣.

(٩٣) م.س، ص١٩١.

(٩٤) محمد بن محمد المعروف بابن نباته المصري، شاعر مشهور، مات بالقاهرة سنة ٧٦٨هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ٦/٢١٢، الدرر الكامنة/ ابن حجر العسقلاني: ٤/١٣٩.

(٩٥) التصوف الإسلامي/ زكي مبارك: ١/٢٢٩.

(٩٦) الشيخ محمد بن محمد البكري، الصديقي، صوفي، أديب، شاعر، له مؤلفات مات بمصر سنة ٩٩٤هـ/ معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة: ١١/٢٨١.

(٩٧) التصوف الإسلامي/ زكي مبارك: ١/٢٣٢.

(٩٨) هو رينولد. ا. نيكلسون، عالم بالتصوف الإسلامي، وله مؤلفات مات سنة ١٩٤٥م/ الاعلام/ الزركلي: ٣/٦٩.

(٩٩) في التصوف الإسلامي/ نيكلسون، ص٨٧.

(١٠٠) م.س، ص١٤٧.

(١٠١) م.س، ص١٥٩.

(١٠٢) م.س، ص١٦٠.

(١٠٣) موسوعة الكسنزان/ الشيخ محمد الكسنزان الحسيني: ٥/١٣٠ – ١٣١.

(١٠٤) السيرة النبوية/ ابن هشام: ١/١٤٥-١٤٦.

(١٠٥) الفتاوى الحديثية/ ابن حجر الهيتمي، ص٥٩.

(١٠٦) الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، محدث، فقيه، صوفي، له مؤلفات، مات بمكة سنة ٩٧٤هـ/ الاعلام/ الزركلي: ١/٢٢٣.

(١٠٧) الفتاوى الحديثية/ ابن حجر الهيتمي، ص١٩٠.

(١٠٨) المائدة/ ٦٥.

(١٠٩) آل عمران/ ٧.

(١١٠) العقيدة الطحاوية/ علي الدمشقي: ١/٢٥٤.

(١١١) الأدب الصوفي مصر/ د. علي صافي، ص٢٣٣.

(١١٢) تبقى أسنانك سالمة لا يصيبها عطب، الفض: الكسر بالتفرقة.

(١١٣) أراد ما جرى لآدم وحواء قبل هبوطهما إلى الأرض، مشيراً إلى قوله تعالى: ((وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة))، الأعراف/٢٢.

(١١٤) المضغة: قطعة اللحم. العلق: الدم الغليظ.

(١١٥) خندف: هي ليلى أم مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وإلى هنا ينتهي نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما ذكر/ الطبقات الكبرى/ ابن سعد: ١/٦٦. جمهرة النسب/ هشام الكلبي، ص٢٠.

(١١٦) أسد الغابة/ ابن الأثير: ٢/١١٦.

(١١٧) المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص٢١.

(١١٨) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فقيه العراق، مات ببغداد سنة ١٥٠هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ١/٢٢٧ – ٢٢٩، مرآة الجنان/ اليافعي: ١/٣٠٩ – ٣١٠.

(١١٩) المدائح النبوية/ د. مخيمر صال، ص٢٤ – ٢٥.

(١٢٠) ملك النحاة، الفقيه الأصولي، وله شعر، مات بدمشق سنة ٥٦٨هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ٤/٢٢٧.

(١٢١) التاريخ الكبير/ ابن عساكر: ٤/١٦٨، المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص٣٣.

(١٢٢) مرت ترجمته في ص١٢.

(١٢٣) الفتوحات المكية/ ابن عربي: ١/٣.

(١٢٤) مرت ترجمته في ص١٧.

(١٢٥) الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٣٥٨.

(١٢٦) الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٣٧٠.

(١٢٧) يحيى بن يوسف الصرصري، الزاهد الضرير، صاحب المدائح النبوية، قتل شهيداً على يد التتر سنة ٦٥٦هـ/ نكت الهميان/ الصفدي، ص٣٠٨ – ٣٠٩. شذرات الذهب/ الحنبلي: ٥/٢٨٥-٢٨٦.

(١٢٨) المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص١٠٥.

(١٢٩) ما شانها نكد: ما فيها عيب أو خالطها ما يسوء.

(١٣٠) م.س، ص١٠٥.

(١٣١) م.س، ص١١٦.

(١٣٢) م.س، ص٢٣٩.

(١٣٣) محمد بن سعيد الصنهاجي، البوصيري، المصري، صاحب البردة، مات سنة ٦٩٦هـ/ شرح البردة/ الشيخ خالد الأزهري، ص٥ – ١٠. الاعلام/ الزركلي: ١١/٧.

(١٣٤) الرشف: المص. الديم: جمع ديمة وهي المطر.

(١٣٥) ضرتها: هي الآخرة.

(١٣٦) ديوانه/ تحقيق: محمد سيد كيلاني، على التوالي، الصفحات: ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠. وانظر: شرح البردة/ الشيخ خالد الأزهري، على التوالي، الصفحات: ٥٨، ٦١، ٧٠، ٧٢، ١١٥.

(١٣٧) ديوانه/ تحقيق محمد سيد كيلاني، ص١.

(١٣٨) م.س، ص٥٥.

(١٣٩) بتصرف، الفتاوى الحديثية/ ابن حجر الهيتمي، ص١٩٠.

(١٤٠) المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص١٥٥.

(١٤١) م.س، ص١٥٥.

(١٤٢) م.س، ص١٥٦.

(١٤٣) المدائح النبوية/ د. مخيمر صالح، ص١٥٦.

(١٤٤) مرت ترجمته في ص٤ من هذا البحث.

(١٤٥) بتصرف، انظر: الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٢٧٣.

(١٤٦) الأدب الصوفي في مصر/ د. علي صافي، ص٢٧٢. الطبقات الكبرى/ الشعراني، ص٢٥٧-٢٥٨.

(١٤٧) يوسف أفندي الذوق بن عمر الحنفي، الطرابلسي، شيخ فاضل وأديب بارع، وشاعر متصوف، ولد سنة ١١٢٥هـ ولا تعرف سنة وفاته/ سلك الدرر/ أبو الفضل المرادي: ٢٦٠/٤-٢٦٩.

(١٤٨) أراد (أبا) لكن الوزن أحاله إلى التشديد ليستقيم الوزن.

(١٤٩) م.س: ٢٦١/٤.

(١٥٠) مرت ترجمته في ص١٣ من هذا البحث.

(١٥١) اليواقيت والجواهر/ الشعراني: ٣٤/١.

(١٥٢) كلكاله: صدره. الحلك: أراد الليل بذلك لأن الحلكة: شدة السواد. لم يجل: لم يظهر ويشرق.

(١٥٣) معراج القلوب/ محمد الرواس، ص١٢٥. الحبك: طرق السماء.

(١٥٤) م.س، ص١٠٥.

(١٥٥) معراج القلوب/ محمد الرواس، ص١٦٣.

(١٥٦) م.س، ص٤٧٣.

(١٥٧) م.س، ص٢١.

(١٥٨) م.س، ص٣٩.

(١٥٩) المنقى: المختار والمصطفى. لب: أصل. سمت: علت وارتفعت.

(١٦٠) معراج القلوب/ محمد الرواس، ص٥٠.

(١٦١) م.س، ص٤٠٢.

(١٦٢) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، الأشبيلي، فيلسوف، مؤرخ، من أوائل علماء الاجتماع، مات بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ/ شذرات الذهب/ الحنبلي: ٧٦/٧-٧٧، معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة: ١٨٨/٥-١٨٩، الاعلام/ الزركلي: ١٠٦/٤.

(١٦٣) المقدمة/ ابن خلدون، ص٤٧١.

(١٦٤) هود/ ١١٨.

(١٦٥) اليواقيت والجواهر/ الشعراني: ٣٢/١.

(١٦٦) م.س: ٣٣/١. النكير: الإنكار.